دراسة تحليلية لقصيدة الشريف عبد الجامع في مدح
الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني

An Analytical Study of Sheriff Abduljami's Poem in Eulogizing
Sheikh Sheriff Ibrahim Saleh Al-Hussaini

By
Abdullahi Adam Umar
&
Sulaiman Ali Sulaiman
Department of Islamic Studies,
Borno State University, Maiduguri

Abstract

This article is entitled: A Literary Study of the Mime of Sharif Abdel-Jami in Praise of Sheikh Sharif Ibrahim Saleh, which aims to highlight the literary value and artistic phenomena in the poem. Thirty lines, opened by the poet by mentioning the medal obtained by his sheikh, and did not resort to the Talli introduction, and the ideas of the poem included describing the praised one with knowledge and piety and superiority over peers, then congratulating him and those who were marked with him on that day, and the words of the poem were characterized by ease and ease, and the poet did not multiply in it From the use of mystical terms and was also characterized by organic unity, and the brilliance of the conclusion, and it is noted that he used more rhetorical methods in this poem, although not intended, and he committed prosody errors in more than five verses.
Keywords: *Analysis – Poem – Poetry – Eulogy – Praise*

المقدمة

هذه المقالة بعنوان : دراسة أدبية لميمية الشريف عبد الجامع في مدح الشيخ الشريف إبراهيم صالح، تهدف إلى إبراز القيم الأدبية والظواهر الفنية في القصيدة، واشتملت المقالة على التعريف بالشاعر وعرض القصيدة وشرحها وإظهار القيم الفنية فيها، واستنتج الباحثون من هذه الدراسة ما يلي: تكونت القصيدة من تسعة وثلاثين بيتا، نظمها الشاعر مهنئا بها شيخه عندما وسمه رئيس الجمهورية بوسائم قائد النيجر، والقصيدة من بحر الطويل ،افتتحها بذكر الوسام الذي حصل عليه شيخه، ولم يلجأ إلى المقدمة الطللية، واشتملت أفكار القصيدة على وصف الممدوح بالعلم والتقوى وبالتفوق على الأقران، ثم التهنئة له ولمن وسّم معه في ذلك اليوم، وتميزت ألفاظ القصيدة بالسهولة واليسر، ولم يكثر فيها الشاعر من استعمال المطلحات الصوفية وتميزت أيضا بالوحدة العضوية، وبراعة الختام، ويلاحظ أنه أكثر من استعمال الأساليب البلاغية في هذه القصيدة، وإن لم تكن مقصودة، وقد ارتكبت فيها بعض المخالفات العروضية في أكثر من خمسة أبيات. واشتملت المقالة على النقاط التالية

- المقدمة
- التعريف بالشاعر
- عرض القصيدة
- تعليق عام على القصيدة

- بعض القيم الفنية في القصيدة
- الخاتمة

عرض القصيدة

هذه القصيدة سماها الشاعر "قصيدة تهنئة بمناسبة حصول شيخ الإسلام الشريف إبراهيم صالح الحسيني حفظه الله على وسام قائد النيجر (CON) والقصيدة مؤرخة بتاريخ2009/1/22م الموافق لـ 1430/1/24هـ، وتتكون من تسعة وثلاثين بيتا، والقصيدة من بحر الطويل إلا أن عروضها وضربها مقبوضان وهي على وزن:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ** فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلـــن

في أواخر عام 2008م كرّم السيد (عمر موسى يَرْ أدوا) رئيس نيجيريا السابق بعض الشخصيات النيجيرية التي قدمت خدمة للدولة وكان من ضمن الذين وُسّموا في ذلك اليوم الشيخ إبراهيم صالح الحسيني الذي وسم بوسام قائد النيجر (con) فاضطرب الشاعر لما حصل من تكريم لشيخه وجادت قريحته بهذه القصيدة.

وسامك يا فرد الزمان مقدر ** وقدرك من ذا الوسم أعلى وأفضل
ولكنما التشريف جاء دلالة ** على قيم بها الشعب يترفل
برغم جحود البعض فضل ذوي العلا ** لهم في حياة الناس شأن ومدل
فكم حُل إشكال بكم في سياسة ** فكم حَل يمن أو أمان يظلل
لواء أمان في يداك مرفرف ** فكم من جهود بالنجاح مكلل
وفضلك في الدين الحنيف مقرر ** وفي خدمة الأوطان من ذاك يجهل
ألست الذي تبني وغيرك يهدم ** ألست الذي عيناك للكون تحمل
ألست الذي تبني وغيرك يهدم ** ألست الذي عيناك للكون تحمل
ألست الذي يعطي ويبذل دائما ** ويمناك يابن الخير للناس منهل
بيمنك عاشت تي البلاد سليمة ** فلولاك كانت بالبلاء تجلجل
بحكمتك العلياء تطفئ فتنة ** ولم يفلح النفاخ في النار يشعل
وإن عمي الخفاش في الناس عينه ** ففي الناس من يرى الحقائق يعقل
وقد جمع الله المواهب فيكم ** وأنت لها بحر وللناس منهل
وقد زفه الأحرار ذا اليوم زاهيا ** وللوطن العزيز فخر ومنزل
فمهما غطّى شمس الظهيرة غائم ** فللشمس يوم تنجلي فيه تطلل
مواهبك الشتى الكثيرة سيدي ** تنادي بأعلى الصوت أنت المؤهل
فعلم وأخلاق ذكاء وفطنة ** وأنت لهذا الشعب فخر وموئل
صفاء وقدس ثم طهر وعفة ** وحلم وعفو بالاحسان مكمل
هدوء أناة مع ثبات سكينة ** وقار وعز ليس للذل مدخل
سخاء وجود مع نجدة وشهامة ** على الرأس تاج بالوقار مجمل
مجالسه روض أريض مراتع ** به ترتع الأقطاب تنهل وتعلل

كتائبه الكتب الوثيقة دبجـت ** بأقلام حق بالدلائل يحْفَل
فلو فتح الله البصائر شاهدت ** عجائب هذا الشيخ ما العقل يذهل
وذا القصر يحوي في القصور غرائبـا ** ومن بابه الأغواث تخرج وتدخل
وأمر إله العرش في الأرض والسمـا ** عليه يدور اليوم يصعد وينـزل
به الشرع محكم الوثائق حبله ** حقائقه تبدو وتعلو وتمثل
رجال الوفا هنا تصاغ جواهرا ** حقائقها تنموا وترقى وتكمل
تربى على الشرع الحنيف رعاية ** ترقى على السر المصون وتنـزل
على رفرف السر المعظم شأنه ** يطير مريد للعماء ويرحل
هنا مت حبيبي فالممات سعادة ** حياة بعيدا بالشقاوة تعدل
فشيخك عين للمعاني جميعها ** ستجلو لك الأقدار ما كنت تجهل
فبرهام جوب قال فيه بنشوة ** سمعنا عن إبراهيم أنباء تذهل[1]
تعلق به وكن به متشبثا ** ونطه وساما به للمجد تدخل
تعلم عليه العلم والق بسوحه ** عصاك عصا التسيار فأين ترحل؟
فنحن رضينا بالنزول لبابه ** نعيش ونفنى تحت عطفه نرفل
حماك إله العرش يا عبد ذاته ** من العين عين الناس في العين تدخل
تَعوّذ منها سيد الرسل جدكم ** بعصمته وحي من الله ينزل
عليه صلاة الله ثم سلامه ** وآل وأصحاب وإياك تشمل
أهنئ لأبناء الإمام وصحبه ** والأحباب في الآفاق للكل ترسل
ختاما أحيي كل من فاز مُوسما ** مع الشيخ والتاريخ بالباب يدخل[2]

غرض الأبيات والأفكار الرئيسية

هذه القصيدة قالها الشاعر مهنئا ومادحا لشيخه بمناسبة حصوله على شرف قائد النيجر (CON) النيجيري، وتدور القصيدة حول الأفكار الآتية:

- ذكر مزايا شيخه التي أهّلته لحوز هذا الوسام، وإن كان قدر شيخه أعلى وأعظم من هذا الوسام، ولايضيره إن كان بعض الناس ينكر هذا الفضل وهذا القدر.
- وصف الشاعر ممدوحه بصفات جليلة كالعلم والحلم والصبر وغيرها من الصفات المحمودة التي أهّلت شيخه للحصول على هذا الوسام وغيره من الأوسمة العالمية.
- ذكر الشاعر قَصر شيخه وما حواه من علوم وأسرار ومعارف، وكيف لايكون كذلك وهو الشيخ القدوة، المربي للأجيال.
- إسداء النصح للمريد الصادق بلزوم عتبة باب هذا الشيخ إلى الممات.
- الدعاء لشيخه بالحفظ من عين السوء التي تعوذ منها الحبيب صلى الله عليه وسلم مع كونه معصوما منها.
- وأخيرا التهنئة لكل من حصل على الوسام في هذا اليوم مع شيخه وكذلك التهنئة لأبناء الشيخ وأحبابه ومريديه.

[2] ديوان الشريف عبد الجامع (مخطوط) بمكتبة المؤلف بميدغري، ص 38-40

التعليق على القصيدة:

يمثل التعليق على القصيدة شرحا أدبيا يقوم الباحثان به وذلك وفقا لما يلي:

البيت الأول إلى السادس:

افتتح الشاعر هذه القصيدة بأسلوب طلبي جميل حيث خاطب شيخه قائلا له يا وحيد عصره هذا الوسام الذي تحصلت عليه مقدّر من عند الله تعالى، ولكنه لا يكون معيارا ومقياسا لقدرك، فقدرك أجلّ وأعظم من هذا الوسام، ولكن هذا التشريف جاء ليدل دلالة على قيم يتجمل بها الشعب النيجيري، ثم إن هذا التوسيم جاء رغم أنوف بعض من ينكر فضل ذوي العلى ويتدخلون في شئون لا تعنيهم، ولكن إذا جهل الناس قدركم فها أنذا أسرد بعضا من مزاياكم، ثم انتقل الشاعر إلا الإستفهامات التقريرية قائلا: كم من المشاكل السياسية المعضلة حُلت عن طريقكم وذلك في كل من تشاد والسودان والمغرب والسعودية، بل حتى في السياسات الداخلية، وكم حَلّ أمان وسلامة بكفاحكم، فأنتم حملة لواء الأمان، فكم من جهود ناجحة قمتم بها خدمة لدينكم ووطنكم، وفي البيت السادس قال الشاعر إن فضلكم في الدين مقرر لاينكره أحد، فأنتم إضافة إلى كونكم من بيت النبوة أنتم أهل تقوى وصلاح، ويشهد لكم بذلك البعيد قبل القريب ومن ذا الذي يجهل فضلكم في خدمة هذا الوطن العزيز.

البيت السابع إلى الثاني عشر:

في هذا المقطع بدأ الشاعر في تعداد مناقب شيخه بأسلوب استفهامي رشيق سائلا إياه ألست من يبني وغيرك يهدم، ألست من ينظر إلى العالم نظرة شفقة وحنان، ألست المعطاء الباذل دائما حتى أصبحت يمناك منهلا للقاصي والداني، فببركتكم وعزمكم الشديد ورأيكم السديد، وتوجيهاتكم الصائبة عاشت هذه البلاد في سلام ورخاء، ولولا حكمتكم ودعوتكم للمّ الشمل لوقعت هذه البلاد في البلايا والفتن والحروب، وقد استطعت أيها الشيخ أن تطفئ الفتنة وتدفع الدواهي العظيمة، وذلك بالحكمة والموعظمة الحسنة، وإن كان في الناس من يشعل الفتن، ولكنه باء بالفشل والخسران، ولا يضيرك إذا أنكر البعض فضلكم، فالناس ليسو سواسي في الشر بل هناك المنصفون الذين يرون الحقائق بعين البصيرة، ويحسبون لها حسبانها ومن هؤلاء السيد الرئيس المرحوم "عمرُ موسى يرأدوا" الذي شرفكم بهذا الوسام، ولقد جمع الله فيكم هذه المواهب العظيمة، فأنتم من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن العلماء العاملين، ومن الزهاد، ومن أولي الأمر والحكمة، فكل المواهب قد جمعت فيكم، والناس يأتون لينهلوا من مواهبكم الجمة.

البيت الثالث عشر إلى التاسع عشر:

في البيت الثالث عشر يقول الشاعر لقد فرح الشعب واحتفوا بهذا اليوم الذي كُرمتم فيه، وأنتم أيها الشيخ فخر هذا الوطن العزيز، ثم استمر الشاعرفي سرد الحجج في إثبات الأدلة التي تصدق دعواه، قائلا: مهما حاول الحساد إطفاء نوركم فلا بد للنور أن يظهر في يوم من الأيام، كما أن الغيوم لا يحجبها ضوء الشمس إلى الأبد بل هناك يوم تنجلي فيه الشمس، مواهبك الشتى الكثيرة في شتى المجالات العلمية والساسية والاقتصادية وفي شئون المعرفة والتصوف والزهد، فكل هذه المواهب تنادي بأعلى الصوت إنك أيها الشيخ مؤهل لهذا الوسام بل إنك مؤهل إلى ما هو أعظم وأرفع من ذلك، ثم شرع الشاعر في تعداد بعض هذه المواهب فقال منها العلم والأخلاق والذكاء والفطنة والحلم والعفو والهدوء والسكينة والوقار والنجدة والشهامة، وليست هذه هي كل المواهب بل إنك كلك مواهب حتى صارت المواهب بالنسبة لك كالحلي والزينة بل هي كالتاج على رأسك.

البيت العشرون إلى الخامس والعشرين:

اعلم يا أخي أن مجالس هذا الشيخ كانت ولا تزال مراتع خصبة لا للعوام فحسب بل هي للخواص من العلماء والأقطاب والوجهاء، فهم من ينهل من معينه الصافي، وإ ن سألتني عن كتائب هذا الشيخ وجنوده فهي الكتب التي دبجت وقرّظت بأقلام أساطين العلماء في العالم، وهذه الكتب مليئة بالحجج والبراهين والأدلة القاطعة المهتت للخصوم والمقنعة لهم ، ثم انتقل الشاعر إلى أبعد المعاني غورا واستعمل بعض مصطلحات القوم قائلا: فلو فتح الله بصائر الناس لشاهدو من عجائب هذا الشيخ ما يذهل العقول ويدهشها، وذكر بعضا من هذه العجائب على حسب اعتقاده وصدقه الفني، قائلا: إن قصر هذا الشيخ يهوي غرائبا كثيرة ومن هذه الغرائب أن الأغواث تدخل فيه وتخرج منه أي يرتاده الأغواث ناهيك عن غيرهم، وكذلك أمر إله العرش يصعد إلى السماء وينزل إلى الأرض، يعني أنه أسس مكانا ترتاده الملائكة السيارة وهي أي الملائكة تصعد وتنزل في كل وقت من أوقات الذكر، ومن غرائب هذا الشيخ أيضا أنه ممن يَحضون الناس على التمسك بالشرع الإسلامي الحنيف.

البيت السادس والعشرون إلى الثالث والثلاثين:

وهكذا استمر الشاعر في سرد الدلائل والبراهين على سبق شيخه وتفوقه على علماء عصره قائلا: إن الرجال الأوفياء يصاغون عند الشيخ كما تصاغ الجواهر حتى تصير نقية، فكذلك الرجال يربون على الإسلام والإيمان والإحسان فتكتمل معرفتهم ويُربوا على الشرع الحنيف فتزكوا نفوسهم، لذا أرجوك أيها المريد الصادق أن تتربى على هذا الشيخ تربية تطير بها لابجسمك بل بروحك إلى حضرة العما وتسرح بها في ملكوت الله، وإذا جئت إلى هذا الشيخ فألق نفسك أمامه كالميت عند غاسله، وعش في هذه الرياض ولا تبتعد عنها لأن الابتعاد عن مجالس الذكر يعد شقاوة، ثم اعلم أيها المريد بأن شيخك مجمع للمعاني وستجلي لك الأيام حقائق ما كنت أدعيه.

البيت الر ابع والثلاثون إلى السابع والثلاثين:

وقد شهد لشيخك بالخصوصية والسبق في طريق القوم، بعض كبار أهل الطريق أمثال الشيخ (إبراهيم جوب) سكرتير الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي الذي قال في حق ممدوح الشاعر سمعنا عن إبراهيم صالح أخبار مدهشة ومذهلة للعقول، فلذلك أنصحك أيها المريد أن تتعلق بأذيال شيخك وأن تتشبث به وأن تجلّه وتعظمه لكي تدخل في دائرة المجد، وأنصحك بأن تتعلم عليه العلم لأنه بلغ في العلم الذروة وفي التقوى والصلاح القمة، فإذا أتيت بابه فألق عصاك بسوحه ولا ترحل إلى أي مكان آخر ولتعلم بأننا رضينا بالنزول عند باب هذا الشيخ وسنبقى إلى الأبد تحت عطفه وتحت رعايته وإرشاداته وتوجيهاته القيمة.

البيت الثامن والثلاثون إلى الثاني والأربعين:

وفي ختام هذه القصيدة توجه الشاعر بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يحمي شيخه من العين المضرة التي تلحق الضرر بالناس، وهذه العين قد تعوذ منها الرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه معصوم منها، ثم صلّى على النبي صلى الله عليه وسلم وثنى بالصلاة على الآل وثلث بالصلاة على الأصحاب وأن تشمل هذه الصلاة شيخ المادح، وفي البيت الأخير قدم الشاعر تهانيه لأبناء الإمام وأصحابه وأحبابه بمناسبة حصول شيخهم ووالدهم على هذا الوسام، وقدّم التهاني لكل الفائزين على الأوسمة في ذلك اليوم.

القيم الأدبية في القصيدة

من خلال هذه النقطة، يجسّد الباحثان قيما أدبية جعلت من القصيدة المختارة للدراسة جذبًا لانتباه يستحق الوقوف على عتابته. وذلك وفقا للأسس التالية:

العاطفة:

وهي عنصر هام في الدراسة التحليلية للعمل الأدبي فيها نحس عن الأديب قوة فعله ومحاولته في نقل انفعالاته الهادئة إلى سامعيه، وتكون صادقة مقبولة وذلك إن طابقت مشاعر الأديب لما هو عليه من عقيدة وذوق وتجربة، وإلا فزعم باطل مرفوض في الدائرة الأدبية، فالصدق المتطلب هو مطابقة القول لعقيدة الأديب وذوقه فقط [3]

أما عن عاطفة الشاعر عبد الجامع في هذه القصيدة التي مدح بها شيخه الحسيني فكان الشاعر يؤمن ويعتقد إعتقادا جازما بأن شيخه الشيخ إبراهيم صالح الحسيني حاز فضل السبق على أقرانه وأنه إمام عصره وأن مرتبة شيخه أعلى وأنبل من هذا الوسم الذي وسّم به، وأن علماء عصره قد شهدوا له بهذا السبق، ولنستمع إلى الى الشاعر وهو ينصح غيره بالتعلق بأذيال شيخه والعكوف على بابه قائلا:

تعلق به وكن به متشبثا ** ونُطْهُ وساما به للمجد تدخـل
تعلم عليه العلم والق بسوحـه ** عصاك عصا التسيار فأين ترحـل؟

كذلك تتجلى صدق عاطفته بنزوله على باب شيخه قائلا:

فنحن رضينا بالنزول لبابــه ** نعيش ونفنى تحت عطفه نرفـل

منهج القصيدة

افتتح الشاعر القصيدة بمقدمة تلقائية ولم يتبع المنهج الجاهلي التقليدي وهكذا كان شأنه في كل مدائحه، لكنه ابتدأها بأسلوب رشيق مناديا ومخاطبا شيخه يافرد الزمان هذا الوسام الذي وسمت به إنه قدر مقدر من عند الله تعالى.

الوحدة العضوية في هذه القصيدة:

يقصد بالوحدة العضوية ترابط القول والتآم النسج وتتابع المعنى وأخذ الألفاظ بعضها من حجر البعض الآخر، وسير الكلام على خط واحد من الفكر وعدم التوائها هاهنا وها هنا في الغرض أو الموضوع[4]، ولقد وفق الشاعر إلى الوحدة العضوية في القصيدة فإذا مدح فلا يخرج عن المدح وكذلك إذا رثى او استغاث أو توسل، ألم تر كيف اتحدت هذه القصيدة في غرضها وموضوعها اتحادا أكسبها الوحدة العضوية وقد ركبها الشاعر تركيبا فنيا، بأسلوب سهل ممتع، وهكذا استمرت القصيدة منسقة في ألفاظها متحدة في موضوعها ومعناها إلى أن ختمها الشاعر .

وحدة البيت:

على الرغم من اتحاد القصيدة في الغرض والمعنى إلا أن أبياتها مفككة بحيث يمكننا التقديم والتأخير فيها، وتتميز باستقلالية البيت.

المقطع أو براعة الختام:

وهو آخر ما يطرق الآذان ويعلق بالنفوس وينتهي عنده قول الشاعر، وأحسن أنواعه ما أوحى إلى السامع بانتهاء الكلام، وقد اشترطوا أن يكون مستحسنا عذبا.[5] وإننا نرى أن الشريف عبدالجامع بعد أن ذكر الصلصلة والسلام على النبي والآل، قدم تهانيه لمن فاز بالوسام في ذلك اليوم ثم أشار إلى ما يوحي بختام هذه القصيدة، ولنقرأ معا أبياته الثلاثة الأخيرة من هذه القصيدة:

---

[3] علي نائبي سويد، (الأستاذ، الدكتور) **كيف نتذوق الأدب العربي**، دار الكتب العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1986م، 1406هـ، ص14

عليك صلاة الله ثم سلامه ** وآل وأصحاب وإياك تشمل
أهنئ لأبناء الإمام وصحبه ** والأحباب في الآفاق للكل ترسل
ختاما أحيي كل من فاز مُوسما ** مع الشيخ والتاريخ بالباب يدخل

بعض القيم اللغوية:

أما من ناحية اللغة فإن الألفاظ سهلة وأغلب المعاني ظاهرة ليس فيها غموض ولا ركاكة، ولم يتكلف الشاعر فيها، وكان حسن التعبير في هذه القصيدة مما يدل على براعته ومعرفته لأسرار اللغة العربية وقواعدها، ولم يتكلف الصور البلاغية إلا ما جاء عفوا، ولنقرأ معا هذه الأبيات ليكون ذلك جليا:

مواهبك الشتى الكثيرة سيدي ** تنادي بأعلى الصوت أنت المؤهل
فعلم وأخلاق ذكاء وفطنة ** وأنت لهذا الشعب فخر وموئل
صفاء وقدس ثم طهر وعفة ** وعلم وعفو بالإحسان مكلل

بعض القيم البلاغية:

أول ما يطالعنا في هذه القصيدة بعض الإنشاءات الطلبية ففي البيت الأول النداء الطلبي وذلك في قول الشاعر:

وسامك يا فرد الزمان مقدر ** .....

لفظة "يا فرد الزمان" وردت بأسلوب النداء والمراد منه تعظيم المنادى أو المخاطب. ثم الإستفهام في البيت الثالث في كلمتي "فكم حُلّ"، "وكم حَلّ" وذلك عنده قوله:

فكم حُلّ إشكال بكم في السياسة ** وكم حلّ يُمْنٌ أو أمان يظلل

وفي عجز البيت الرابع هناك استفهام أيضا:

..... ** فكم من جهود بالنجاح مكلل

وهذا استفهام لتعظيم شأن ممدوحه. وفي البيت الخامس يوجد استفهام تقريري في قوله:

ألست الذي تبني وغيرك يهدم ** ألست الذي عيناك للكون تحمل

فهذا الإستفهام "ألست" و "ألست" وهو استفهام للإنكار لأن نفي النفي إثبات وهو استفهام تقريري.

وهناك استفهام في البيت الرابع والثلاثين في قوله:

تعلم عليه العلم والق بسوحه ** عصاك عصى التسيار فأين ترحل؟

والاستفهام هنا للتنبيه على ضلال المخاطب.

أما البديعيات فقد استخدم الشاعر في هذه القصيدة الجناس التام في البيت الثالث من هذه القصيدة وذلك في قوله:

فكم حُلّ إشكال بكم في سياسة ** فكم حَلّ يمن أو أمان يظلل

فالجناس في كلمتي "حُلّ" و "حَلّ" وهو جناس تام مماثل. ثم استعمل الطباق وهو لغة الجمع بين الشيئين واصطلاحا: الجمع بين معنيين متقابلين بلفظين من نوع واحد[6]، وذلك في البيت السادس:

ألست الذي تبني وغيرك يهدم ** ألست الذي عيناك للكون تحمل

فالطباق في تبني ويهدم وهو طباق إيجابي. وكذلك الطباق في البيت الثاني والعشرين وذلك في قوله:

وذا القصر يحوي في القصور غرائبا ** ومن بابه الأغواث تخرج وتدخل

فالطباق في "تدخل" و"تخرج" وهي مطابقة بلفظين من نوع واحد. وأما التشبيهات فنجد منها في البيت السابع حيث يقول الشاعر :

ألست الذي يعطي ويبذل دائمـا ** ويمناك يابن الخير للناس منهـل

يوجد التشبيه البيليغ وهو ما ذكر فيه الطرفان فقط وحذف منه الوجه والأداة، وذلك في "يمناك" و "منهل" حيث شبه اليدان بالمنهل وهو مورد الماء، ولم يذكر الأداة ولا وجه الشبه. وكذلك في البيت العشرين هناك تشبيه بليغ حين شبه الشاعر الكتب بالكتائب الحربية وذلك لمحاربتها للجهل كما تحارب الكتائب الأعداء وتنتصر عليها وذلك عند قوله:

كتائبه الكتب الوثيقة دبجت ** بأقلام حق بالدلائل يحفـل

وتوجد استعارة في البيت الحادي عشر وهي استعارة تصريحية حين شبه ممدوحه بالبحر وتشبيهه له بالمنهل وهو مورد الماء وذلك في قوله:

وقد جمع الله المواهب فيكم ** وأنت لها بحر وللناس منهـل

وهكذا الكناية وهي في قوله:

ألست الذي عيناك للكون تحمل ** .....

وهذه كناية عن اهتمام الشيخ بشئون الخلق أجمعين. ونجد كذلك جمع المؤتلف في البيت السابع عشرة والذي يليه حيث يقول:

هدوء أناة مع ثبات سكينـة ** وقار وعز ليس للذل مدخـل

سخاء وجود نجدة وشهامـة ** على الرأس تاج بالوقار مجمـل

فانظر إلى جميل جمعه للمؤتلفات من الكلمات المترادفات في المعنى. وأخيرا التضمين ولقد ضمن الشاعر في البيت التاسع والعشرون بيت شعر لطرفة بن العبد حيث قال:

فشيخك عين للمعاني جميعها ** ستجلو لك الأقدار ما كنت تجهـل

وبيت طرفة بن العبد حيث يقول:

ستبدي لك الأيام ما كنت تجهل ** ويأتيك بالأخبار من لم تـزود[7]

يقول أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين: وقد تسمى استعارتك الأنصاف والأبيات من شعر غيرك وإدخالك إياه في أثناء قصيدتك تضمينا[8].

الموسيقى:

لم يخرج الشاعر قط عن أوزان الخليل وقد نظم هذه القصيدة على البحر الطويل، ويلاحظ أن عروضها وضربها مقبوضان وبذلك يكون وزنه كالتالي:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلـن ** فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلـن

وقد التزم الشاعر بالأوزان الصحيحة إلا في عجز البيت الثاني، والحادي عشر وفي صدر البيت الثالث عشر، وعجز كل من البيت الثامن عشر، والرابع والعشرين، والخامس والعشرين، والحادي والثلاثين، فيلحظ فيها انكسار في الوزن، ولنأخذ مثلا البيت الثالث عشر:

فمهما غطى شمس الفضيلة غائـم ** فللشمس يوم تنجلي فيه تطلل

تقطيع البيت:

فمهما/ غططى شمسل/ فضيل/ تغائمن ** فلششم/ سيومن تن/جلي في/هتطلل
فعولن/ انكسار/ فعول/ مفاعلـــن ** فعولن/ مفا عيلن/ فعولـن/ مفاعلن

فإننا نجد في التفعيلة الثانية في صدر البيت انكسار في الوزن . أما الروي في هذه القصيدة فهو اللام إلا أنه موصول، والوصل هو حرف ينشأ عن اشباع حركة الروي وإذا وجد في بيت فلا بد من وجوده في سائر الأبيات[9].

الخاتمة:

يتضح لنا مما سبق في هذه المقالة أن الشاعر عبد الجامع، قرض هذه القصيدة الدالية في مدح شيخه، تكونت القصيدة من تسعة وثلاثين بيتا، افتتحها الشاعر بذكر الوسام الذي حصل عليه شيخه، ولم يلجأ إلى المقدمة الطللية، واشتملت أفكار القصيدة على وصف الممدوح بالعلم والتقوى وبالتفوق على الأقران، ثم التهنئة له ولمن وسّم معه في ذلك اليوم، أما النتائج التي توصل إليها الباحثان فهي تتلخص فيما يأتي:

- تميزت ألفاظ القصيدة بالسهولة واليسر،
- ولم يكثر فيها الشاعر من استعمال المطلحات الصوفية
- وتميزت أيضا بالوحدة العضوية، وببراعة الختام،
- ويلاحظ أنه أكثر من استعمال الأساليب البلاغية في هذه القصيدة، وإن لم تكن مقصودة،
- وقد ارتكب الأخطاء العروضية في أكثر من خمسة أبيات.

الهوامش والمراجع

[1] - برهام جوب هو سكرتير الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي

[2] ديوان الشريف عبد الجامع (مخطوط) بمكتبة المؤلف بميدغري، ص 38-40

[3] علي نائبي سويد، (الأستاذ، الدكتور): **كيف نتذوق الأدب العربي**، دار الكتب العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1986م، 1406هـ، ص14

[4] إبراهيم أبو الخشب (الدكتور): **في محيط النقد الأدبي**، مطابع الهيئة العامة للكتاب، القاهرة مصر 1985، ص 220

[5] محمد، طاهردرويش: **النقد الأدبي عند العرب**، المرجع السابق ص 299

[6] أحمد مصطفى المراغي: **علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع**، المرجع السابق ص 320

[7] سعيد حسين عمر مقبول وآخرون: **الأدب والنصوص والبلاغة**، ط1، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا، 1990م ص 26

[8] العسكري أبو هلال الحسن بن عبدالله: **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2008م ص 35

[9] كامل السيد شاهين، **اللباب في العروض والقافية**، المرجع السابق